فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وقد كان المعنى لله الامر في اول الوقتين وفي اخرها
اي حين غلبوا وحين يغلبون فعبر عن اول الوقتين من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم
قبل كونهم غالبين وعبر عن ثاني الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت
غلبتهم بعد ذلك قوله وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ مجرورين منونين لانه اذا لم يكن المضاف اليه
المحذوف منويا لكونه اسما برأسه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر
فساغ لي الشراب وكنت قبلا اكاد اغص بالماء الفرات قوله في رهانهم وهو مصدر بمعنى
المراهنة والمناحبة والغالبة فيها يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذي يتراهن عليه ويوضع
بين اهل السباق يقال اخطر المال اذا جعله خطرا بين المتراهنين قوله وقيل نصر الله المؤمنين
عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب وهو فارس قوله لان
ما قبله في معنى الوعد فان قوله تعالى سيغلبون وقوله ويومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله
بالنصرة فاكد بقوله وعد الله وعامله مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا ثم قرر معنى هذا
المصدر بقوله لا يخلف الله وعده اي يحققه وينجزه فيظهر الروم على فارس ولكن اكثر الناس
يعني كفار مكة لا يعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحي قوله وهذان اي جملتان
منادي على تمكن غفلتهم عن الاخرة يعني ان الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان
غافلون خبرا للاولى او كانت مبتداء ما بعدها خبرها وكانت الجملة الاولى خبر [illegible] تمكن غفلتهم
وذلك لان هم الاولى سواء كان خبرا مفردا او جملة يدل على اختصاص الغفلة بهم وان
الغفلة لا تجب ولا تستمر الا فيهم ومعنى تمكنهم فيهم قوله المحققة صفة غفلتهم
والمراد بالجملة المعترضة يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا واشار الى ان هذه الجملة بدل
من قوله لا يعلمون وكل واحد من قوله تقريرا وتنبيها واشعارا منصوب على انه مفعول له لقوله
المبدلة على ابدال قوله يعلمون من قوله لا يعلمون بثلاث علل الاولى تقرير جهالتهم المدلول عليها
بالمبدل فان من لا يتجاوز علمه عن ظاهر الدنيا ولا يتعلق بالبعض [بعض م] العلم فضلا عن ان يتعلق
بامر الدين واحوال الاخرة الا يكون جاهلا وقوله تنبيها وان كان في صورة العلة الثانية
الا ان المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقريرا لجهالتهم وصح كون الابدال
مشعرا بما ذكره لان قوله يعلمون لما اقيم مقام قوله لا يعلمون وجعل سادا مسده علم منه انه
لا فرق بين عدم العلم وبين علمهم قوله اولم يتفكروا في انفسهم يحتمل ان يكون قوله في انفسهم
ظرفا للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة من الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن
الا في القلوب الا انه زيد قوله في انفسهم لزيادة تصوير حال المتفكرين كما يقال اعتقده بقلبه وابصره

وابصره بعينه واضمره في نفسه ونحو ذلك فيكون جملة ما خلق الله السموات والارض الخ غير
متصلة بما قبلها في محل النصب بقوله اولم يتفكروا والمعنى اولم يتفكروا فيقولوا ان ما خلق
الله السموات والارض الا بالحق باضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا على خلقهما بالحق او باضمار
ان للوصل جائز كما في قوله تعالى في هذه السورة ومن اياته يريكم البرق اي ان يريكم البرق كذا
في التيسير وحينئذ يحتاج الى اضمار في ايضا والاظهر ما ذكره المص من كونه متعلقا بقول او علم
محذوف في التقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا انه تعالى ما خلق السموات والارض فحينئذ
لا يكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثاني الذي ذكره بقوله او لم يتفكروا في امر انفسهم
على ان يكون قوله في انفسهم مفعولا به غير صريح ليتفكروا لا ظرفا له كقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات
والمعنى هلا تفكروا في امر انفسهم التي هي اقرب اليهم من ساير المخلوقات وهم اعلم باحوالها
وهي كلمة استبطاء كانه قيل ينبغي لهم ان يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى فان من
تفكر في تشريح بدن الانسان وما اودع فيه من غرايب التدبير لا بد ان حصل له العلم القطعي
بانه تعالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة وان من يكون كذلك منزها عن الشركاء والانداد
والا لكان عاجزا عن ارادة شريكه ضد ما اراده وايضا حصل له العلم بحقية الحشر والجزاء
لانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزاءه مائلة الى الانحلال فيقطع بانه
سيفنى عن قريب فلو لم يكن له حيوة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من بالغ في تدبير شيء سيفنى عن قريب بالكلية وصوره
احسن تصوير واعتنى لانتظام احوالها ابلغ ما يمكن من الاعتناء بانه عن قريب يصير كان لم يكن شيئا مع علمه م
مذكورا يضحك منه ويتعجب من سفاهته فمن تفكر في شان نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه
للبقاء ولا بقاء الا بالحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان في امر نفسه يؤديه الى القطع بان
العالم له اله واحد قادر على الابداء والاعادة فيكون قوله ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما الا بالحق جملة مستانفة لا تعلق لها بما قبلها ذكرت بعد اقامة دليل الانفس دليلا
بدليل الافاق فمعنى الاية على هذا الوجه اولم يتفكروا في خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى
لم يخلقهما عبثا ولا جزافا ولكن يعتبر عباده ويستدلوا على وحدانيته وكمال قدرته وانما خلقهما
لمنافع عباده بلاغا لهم في دار التكليف وعونا لاكتساب ما يسعدهم في دار الجزاء ومعنى قوله بالحق
والباء فيه سببية او حالية اي ما خلقها الا للحق او ملتبسا بالحق مقرونة به لا باطلة
ولا عبثا خاليا عن حكمة بالغة ولا يبقى خالدة وانما خلقها مؤجلة باجل مسمى في نفوس الحشر
مندرجة في مفهوم قوله وما بينهما جميعا مخلوقة لانتهائها والى اجل مسمى هذه الغافلين عن الاخرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)